Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 7, Mar. 2017

Published on Web 01/03/2017

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد السابع، مارس 2017م

الطريقة المدنية (نشأتها وظهورها) في ولاية طرابلس الغرب علي يد مؤسسها محمد المدني الكبير(1824 ـ 1846م)

أ. مفتاح رجب إبراهيم *

مقدمة البحث:

قبل الخوض في نشأة الطريقة المدنية، وظهورها في ولاية طرابلس الغرب، سنحاول من خلال هذا البحث التعريف بهذه الطريقة، ومن أي الطرق الصوفية تفرّعت؟ ولماذا سمّيت بالمدنية؟ ومن هو مؤسسها؟ وما علاقتها بالطريقة الدرقاوية الشاذلية، ونشاطها واستقرارها في مدينة مصراتة؟

أولاً: الصوفّيــة أساس الشاذلية المدنية:

1- الصوفية: يعرّف التصوّف في الإسلام بأنه الزهد في متاع الدنيا، والاعتكاف على العبادة، وقد عرفته الشعوب القديمة بمختلف أنواعها، وعاداتها، وتقاليدها كردة فعل على الحياة المادّية المرفّهة؛ فعندما بدأت المادّية تطغى على الحياة بين المسلمين، وجنح إليها الحكام والفقهاء، ونشطت حركة الفلسفة فتناولت موضوع العقيدة، بمباحثها، وأشتّط بعض العلماء في خلافاتهم بين متشبث بالعقل ومتمسك بالنقل، حتى صار من نتائج ذلك الخلاف أن شعر بعض العلماء ذوي الورع بوجود فراغ روحي في المجتمع الإسلامي سهّل على عامة الناس في هذا المجتمع أن ينتشر بينهم جهل بأمور العقيدة الإسلامية، وما طرأ عليها من تحريف وتشويه [1].

وتميّزت حركة التصّوف الإسلامي بالمغرب العربي، وولاية طرابلس الغرب، بالعلوم الدينية والشرعية وخاصة الطريقة الشاذلية في مجالات تنظيم شؤون حياة الناس، والعمل على إعادة القيمة المعنوية لشخصية المجتمع الإسلامي، ونقل ذلك

* قسم التاريخ – كلية التربية – جامعة مصراتة.

المعنى إلى غرب إفريقيا ووسطها، فكانت زوايا التصّوف مؤسسات علمية للتربية الإسلامية والاجتماعية.

لكن لم تكن جميع الطوائف الصوفّية المتفرّعة عن الطريقة الشاذلية في ولاية طرابلس الغرب بذات المستوى المعرفي، والعلمي، والتثقيفي، وإن اشتركت في تمسكها بأساسيات دعوة العقيدة الإسلامية للإنسان المسلم إلى صدق التوجه إلى الله تعالى في كل شأن من شؤون حياته الدنيوية والأخُروية.

2- أصل التصوف وتعريفه:

يرى ابن خلدون أن أصل التصّوف هو: "العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه عامة الناس، من مال، وجاه، بل والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، والسهر في الصلاة أو تلاوة أوراد حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي، وتقوي فيه الجانب النفسي، أو الروحي، والحد من ملذات الحياة، سعياً إلى تحقيق الكمال الأخلاقي للنفس وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالها [(2)]".

وأصبحت كلمة (الصوفّي) نسبة إلى لبس الصوف حسب رأي ابن خلدون أنسب تعريف لهم؛ لأن بعضهم لبس الصوف الذي صار علامة لهم. ويقول أيضاً بأنه في خلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام كان التصوف عاماً لدرجة أنه لم يأخذ اسماً خاصاً، ولكن مع انتشار الأفكار المتعلقة بالدنيا وارتباط الناس بالحياة، فإن الذين تفرغوا للعبادة ميّزوا أنفسهم تحت شعار المتصّوفين[(3)]. وقال المسعودي عن التصّوف: "كان سلمان الفارسي يلبس الصوف، كما كان أبو عبيدة بن الجراح يلبس الصوف، وحافظ على هذا اللباس"[(4)]. وقال الجنيد -أحد رجال التصوف في بغداد- بأن التصّوف يعني أن تكون مع الله تعالى- بلا علاقة، وهو ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع، والصوفي كالأرض، يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح، وهو كالأرض

يطؤها البار والفاجر، وكالسحاب تظلل كل شيء أو كالمطر يسقى كل شئ[5]. وقال الشيخ الصوفي، أحمد زروق: "اعلم أن الفقه والتصّوف أخوان في الدلالة على أحكام الله سبحانه...فلا تصّوف إلا بفقه، إذ لا تعلم أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا حقيقة للعلم إلا بالعمل، ولا عمل إلا بصدق التوجّه. ولا هما إلا بالإيمان، إذ لا يصحان دونه، فهو بمنزلة الروح وهما بمنزلة الجسد، لا ظهور له إلا فيهما، ولا كمال لهما إلا به وهو مقام الإحسان"[6].

3-الطريقة الشاذليـة:

وقد أسسها أبو الحسن الشاذلي بشاذلة في مدينة تونس[7]، وعند قدوم أبي الحسن[8] الشاذلي إليها استوطنها، وصارت محل إقامته العادية، وفيها ظهر مقاماته في مدارج المعرفة الصوفية، وكانت إمامته بوصية من شيخه ابن مشيش، وأعلن الشيخ أبو الحسن الشاذلي طريقته بها، واتخذ له زاوية بجبل(زيغوان) بتونس، وصار يتردد بين شاذلة وزيغوان[9].

وبسبب ازدياد شعبيته وانضمام عدد كبير من الناس والأهالي إليه، ثارت الطبقة الحاكمة ضده، فقُدّم للمحاكمة بسبب آرائه وأفكاره، فاضطر إلى الهروب إلى مصر سنة (642هـ- 1244م) حيث ذاع صيته ووجد حسن استقبال واحترام من قبل طبقة العلماء وطاب له المقام بها، وحقق شهرة كبيرة بين أهاليها، واستقر بها خلال حكم الأيوبيين أربعة عشر عاماً، وتعوّد على التوجه إلى مكة سنوياً لأداء فريضة الحج[10].

وقال أبو الحسن الشاذلي: "من دلّك على الدنيا فقد غشّك، ومن دلّك على العمل فقد أتعبك، ومن دلّك على الله فقد نصحك"[11]. وقال في جهاد العدو: ومن أراد أن لا يكون للشيطان عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكّل والعبودية لله على بساط الفقر واللجوء والاستعادة بالله: قال الله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾[12]. أما عن التوبة فقال رضي الله عنه: "لتكن همّتك في ثلاث: التقوى،

والتوبة، والحذر، وقومها بثلاث: الذكر، والاستغفار، والصمت؛ عبودية لله تعالى، وحصّن هذه السنن بأربع: الحب، والرضا، والزهد، والتوكّل[13].

4- الطريقة الدرقاويـة:

وهي طريقة صوفية مجددة للشاذلية، وتفرّعت عنها الطريقة المدنية، وتأسست في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، ومؤسسها الحقيقي هو الشيخ العربي أحمد الدرقاوي(ت1239هـ-1823م)[14]، وقد وجد في التصّوف حماسة دينية شديدة، امتد تأثيرها من مراكش وفاس لتنتشر في الجزائر وليبيا وتونس وسوريا ومصر وفلسطين، وغيرها من البلدان العربية والأفريقية والأسيوية. وكان هدف الشيخ من تأسيس طريقته إصلاح الخلل الذي طرأ على الطريقة الشاذلية[15]. ومن أجل نشر دعوته وتعميمها التجأ إلى تنظيم" حلقات الذكر والسماع الجهريٍ" وأعترف يوماً للشيخ أحمد بن عجيبة [16] "أنه يعلق على هذه الحلقات والتجمّعات بين الإخوان أهمية بالغة في نشر دعوته". يتضح لنا مما سبق الارتباط الوثيق بين الطريقة المدنية والدرقاوية، لأن المدنية تفرعت عن الدرقاوية الشاذلية وتأثرت بها.

5- ظهور المدنيـة, المولد والنشأة:

ظهرت هذه الطريقة على يد مؤسسها محمد حسن بن حمزة ظافر المدني، وكانت ولادته سنة(1194هـ- 1780م) بالمدينة المنورة. وقال عنه الشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي: "هو نير ملك المعاني المحيط[17]. وإذا انتظمت قلادة الكاملين فهو الوسيط. محيي الطريقة الشاذلية ومنبع الأنوار النبوية. نشأ وتربى وقرأ القرآن بالمدينة المنورة، وتلقى العلوم النقلية والعقلية على مجموعة من علمائها[18].

أ - **نسبه:** يرجع نسبه إلى قبيلة الظوافر، وهي إحدى القبائل العربية المعروفة والمشهورة في المدينة المنورة[19].

ب – خروجه من المدينة المنورة(1222هـ– 1807م):

غادر محمد المدني الكبير المدينة المنورة، سنة (1222هـ– 1807م) إلى الأستانة، ثم ساح في الأرض متجهاً نحو المغرب الأقصى؛ لأجل زيارة الأولياء وأهل الفضل والكمال، ولغرض زيادة التفقه في العلوم الفقهية والصوفية[20]. ويفهم من ذلك أن عمره كان حينئذ ثمان وعشرين سنة. وخلال تلك المرحلة شهدت بلاد الحجاز وخاصة مكة والمدينة أوضاعاً سياسية متردية، ربما كانت السبب الرئيس في الخروج الجماعي والفردي للعلماء والفقهاء من بلاد الحجاز، وكان من بينهم الشيخ محمد المدني الكبير لاحقاً. فقد ذكر الجبرتي: أنه خلال سنة(1217هـ–1802م)"حضرت إلى الأستانة جماعة من أشراف مكة وعلمائها هروباً من الوهابيين، وقصدهم السفر إلى الأستانة، يخبرون عما حل بهم من الوهابيين، ومستنجدين بهم لينقذوهم منهم ويبادروا لنصرتهم وذهبوا إلى بيت الباشا والدفتردار، وأكابر علماء البلد وصاروا يحكون ويشكون وتناقل الناس أخبارهم وحكاياهم". وفي نهاية سنة(1218هـ–1803م) هرب عدد كبير من وجهاء وعلماء مكة واتباعهم ومعهم الحجاج، وأخبروا عن دخول عبد العزيز بن سعود الوهابي إلى مكة، وعيّن أميراً وقاضياً تابعاً له عليها، وقام بهدم قبة زمزم، والقباب التي حول الكعبة، والأبنية المرتفعة بجانبها؛ لأن الوهابيين يرون فيها بدعاً ومحرمات[21]. وفي هذه السنة (1222هـ– 1807م) التي خرج فيها محمد المدني الكبير من المدينة المنورة – منع السعوديون الحجاج الشاميين والمصريين والأتراك من الحج–مما أعطى المبرر للوالي في مصر محمد علي باشا، بأن يرسل الجيش المصري فاجتاح شبه الجزيرة العربية، وقضى على الدولة السعودية الأولى، وظلت الحجاز تحت الاحتلال العسكري المصري حتى سنة (1256هـ– 1840م)[22].

ومما سبق نستخلص أن عدم بقاء العلماء والفقهاء وأتباعهم بالمدينة المنورة، وهروبهم ونجاتهم بحياتهم إلى الأستانة للشكوى عند سلطان المسلمين، واستنجادهم به

لنصرتهم، ورد ظلم الوهابيين عنهم بسبب ما هم فيه من ضيم عظيم، بالإضافة إلى ما وقع من فتنة عظيمة في الحجاز، ودخول عبدالعزيز بن سعود الوهابي لمكة واستحلال جيشه لها، وهدم القباب بالبقيع، ومنع الحجيج المصريين، والشاميين، والأتراك من دخول بيت الله الحرام، ومدينة الرسول(ﷺ)، وهذا سَبّبَ خروج الشيخ محمد المدني الكبير باتجاه الأستانة في عهد السلطان سليم الثالث، وما حدث من أحداث وفتن في عهده– كما أسلفنا سابقاً– وتولى من بعده السلطنة مصطفى الرابع، ثم محمود الثاني، ونتيجة لعدم استقرار الحكم بالأستانة وكثرة تغيّر الخلفاء أو السلاطين، فما كان من الشيخ محمد المدني الكبير إلا الرحيل، والاتجاه إلى المغرب الأقصى[23]، وهو ما يذكره مؤرخوا الصوفية بأنه ساح سياحة باتجاه المغرب الأقصى. وذكر بعض مؤرخي الصوفية، أن خروج الشيخ محمد المدني الكبير من المدينة المنورة، بهدف السياحة في سبيل طلب العلم ماراً بالأستانة فأقام بها قليلاً، ثم توجّه إلى المغرب الأقصى لأجل زيارة الأولياء، والفقهاء، والعلماء أهل الفضل، وللأخذ بيده لطريق الوصول إلى الله[24].

ج – سياحته في المغرب الأقصى وتلقيه علوم التصّوف عن العربي الدرقاوي:

وبعد وصوله إلى المغرب الأقصى، كان اجتماعه بشيخه يوم الثلاثاء في شهر صفر، سنة (1224هـ– 1809م)، "وضع نفسه بين يديه خادماً طالباً بركته قائلاً له مستفتحاً:"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"، فقال الشيخ العربي الدرقاوي: "من أي البلاد أنت؟"، قال له:"من مدينة الرسول(ﷺ)قصدتك لتأخذ بيدي"، فقال له الشيخ:"والله لو جاءنا كلب من مدينة رسول الله (ﷺ) لرفعناه على رؤوسنا فكيف بمن جاءنا من أهلها، مرحباً بك أهلاً وسهلاً، وسوف يصيبك من فضل الله خير كثير إن شاء الله"[25] ثم لقنه أوراد الطريقة الشاذلية في شهر صفر سنة (1224هـ– 1809م)[26]، وصار له الفتح وعمره ثلاثون سنة [27]، وهي نفس السنة التي توفي فيها الشيخ أحمد بن عجيبه[28] الذي بقى في خدمة شيخه العربي الدرقاوي تسع سنين

ملازماً له، ومازال محمد المدني الكبير عند شيخه، حتى توفي أحد أقطاب الصوفية وآخرهم ألا وهو الشيخ محمد البوزيدي سنة(1229هـ-1813م)، وكانت تربطه علاقة وثيقة بشيخه الدرقاوي[29]، مما سبب في انتقال خلافة الدرقاوي في الطريقة الدرقاوية الشاذلية إلى محمد المدني الكبير بعد وفاته.

د – تلقينه الورد:

أما عن تلقينه الورد بالطريقة الدرقاوية الشاذلية فتم بعد فترة قدوم الشيخ محمد المدني الكبير إلى شيخه العربي الدرقاوي بمنطقة فاس، فقال له: "فسيكون لك خير كثير إن شاء الله تعالى، وأمره بالذهاب إلى زاويته فبقي بها إلى الصباح، ثم جاء إليه بعد صلاة الضحى من اليوم التالي، فطلب منه أن يلقّنه الورد المبارك، فوافق على ذلك وجعل كفي بكفه بطريق المصافحة، وقال لي رضي الله عنه: "قل استغفر الله مئة مرة، واللّهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه مائة مرة، ولا إله إلا الله مائة مرة، وسيدنا محمد رسول الله(ﷺ) مرة واحدة عند الختم، ثم لقنه الاسم الخاص، فكان يذكره ليلاً ونهاراً ليس له شغل سواه، فكان يشاهد خوارق العادات فلا يلتفت لها"[30]. ويتضح من ذلك أن طريقة تلقين الورد كانت شفهية بإعادة ما يذكره الشيخ العربي الدرقاوي لتلميذه الشيخ محمد المدني الكبير بطريقة مصافحة اليد اليمنى، وبذلك يتم إجازة التلميذ ليصير شيخاً.

ثانياً: سياحة محمد المدني الكبير بالمغرب العربي:

إن هذه الرحلات التي قام بها العلماء، والفقهاء المسلمين وما أدوه خلال تلك الرحلات بين المشرق والمغرب العربي والإسلامي من تفاعل فكري واتصال ثقافي وحضاري وتبليغ علمي ونقل ونشر هذه العلوم الشرعية الفقهية والصوفية لدليل على قوة المنهج الصوفي. ومن المؤكد أن رغبة هؤلاء العلماء ورجال التصّوف هي بناء اتصال ثقافي علمي فكري، يتجّسد فيه حرص العلماء والفقهاء السابقين على أن تكون علومهم

ومعارفهم مأخوذة ومستقاة من التقاة الزاهدين، المشهود لهم بالتبحر في العلم، والفقه، والتصّوف، بغض النظر عن موطنهم الجغرافي، أو جنسيتهم، وهدفهم الاستفادة التامة وتبحرهم في العلوم. فسارع هؤلاء الطلاب إلى القيام بالرحلات العلمية التي اتجهوا بها صوب المشرق والمغرب العربيين وإلى المبادرة إلى ربط السند العلمي بتلك البلدان الموجود بها أشهر العلماء؛ من أجل التحصيل، وأخذ المعارف عنهم، سواء من شيوخ جامع الزيتونة في تونس، أو شيوخ جامع الأزهر بمصر. فسارع هذا التقي الورع الشيخ محمد المدني الكبير إلى الرحيل والسياحة إلى المغرب (فاس)، وطلب علوم الطريقة الشاذلية من العربي الدرقاوي[31].

1- خروجه إلى فاس:

وذكر محمد المدني الكبير أنه بقي مقيماً عند شيخه خمسة أشهر، ثم استأذنه للخروج إلى فاس لزيارة الإخوان؛ أهل الطريقة، فأعطاه الإذن، وطلب منه البقاء بها أياماً، ثم أمره بالذهاب إلى مكناسه، لزيارة بعض الأولياء، منهم الولي محمد بن عيسى، والولي عبدالرحمن المجدوب، والولي أبو زكري[32].

2- خروجه من مكناسة:

خرج محمد المدني الكبير من مكناسة يوم 24 رمضان (1224هـ- 1809م)، بعد صلاة العصر قاصداً زيارة محمد بن عيسى، وقد ذكر ذلك فقال: "فبينما أنا سائر إذ غبت عن نفسي وعن حسي، وعن كل شيء، ولا أرى في الوجود إلا الملك المعبود، فرجعت من الطريق وأنا مأخوذ من نفسي إلى الزاوية، فما استطعت أن أذكر ما حل بي لأحد من إخواننا أهل الطريقة؛ بل ذهبت إلى حضرة العربي الدرقاوي وأخبرته بذلك، فقال لي: هنيئاً لك، وصلت إلى بلاد التحقيق، فقل من ذكر الاسم الخاص لا تذكره كثيرا، وهنا حصل له الفتح [33]. ويقصد بالاسم الخاص هو "الله".

3- ملازمته للعربي الدرقاوي: قال محمد المدني الكبير: "وكان في بعض الأوقات يأتيني وارد تشوق برؤية رسول الله(ﷺ)، فصار ذلك الوارد يتقوى شيئاً فشيئاً، فكنت عندما أسمع الصلاة عليه، أو مدحه- صلى الله عليه وسلم- يكثر عليّ البكاء حتى تبدلت حالتي، وكنت أمشي وأرجع عند الأستاذ[الدرقاوي] ما عندي قرار تارة أكون عنده، وتارة أسيح وأرجع إليه فاستأذنته أن أذهب إلى مراكش[34].

وبعد هذه الرؤية بدأ محمد المدني الكبير بين حالين، تارة يلازم شيخه، وتارة أخرى نجده يتركه متجهاً لأهل الطريقة، حيث قال: "بقيت ملازماً لحضرة الأستاذ، تارة أكون في حضرته، وتارة أستأذنه في السياحة لزيارة إخواننا أهل الطريقة، فبقيت على ذلك الحال تسع سنين، ثم قال لي رضي الله عنه، نحبك أن تذهب إلى مدينة الرسول(ﷺ)". وعاد الشيخ محمد المدني الكبير إلى شيخه الدرقاوي يشكوا حاله؛ فقال له: "لا بأس عليك، طريقتنا هذه مجذوبها سالك، فخرجت من عنده وأنا أقوى من حالي الأول بقدر ما أود في الفرائض؛ لأن الغالب على السكر بقيت في ذلك مدة"[35].

4- رحيله إلى مراكش (1228هـ- 1813م):

وبسبب ما وصل إليه حال الشيخ محمد المدني الكبير، طلب الإذن من شيخه الذهاب إلى مراكش لكي تتحسن أحواله، ولزيارة الإخوان أهل الطريقة، والسبعة الرجال الأولياء، فقال له شيخه العربي، "سر على بركة الله"، فرحل إلى مراكش في أول شعبان سنة(1228هـ- 1813م)، فوصلها في بداية رمضان، فبقي في جامع سيدي أبي العباس السبتي، فاعتكف فيه العشر الأواخر وكان كثير التشوّق إلى رؤية رسول الله) فلازم الصلاة ليلة 27 رمضان سنة(1228هـ)، فتحسنت حالته وكانت له رؤيته [36].

5- رجوعه للمدينة المنورة: وبعد أن لازم شيخه فترة طويلة- كما أسلفنا سابقاً- وبقي على هذا الوضع تسع سنين، أمره شيخه الدرقاوي، وقال له: "نحبك أن تذهب إلى مدينة الرسول(ﷺ)، ونرى مشيك أفضل من جلوسك، والله على ما نقول وكيل، وقلت له:

ياسيدي أنا بين يديك، فقال لي: اذهب على بركة الله: فقال له الحاضرون معنا من التلامذة: نريد أن يذهب إلى المدينة ويرجع إلينا، فقال لهم: لأي شيء يرجع إلينا؟ فما بقيت له حاجة عندنا[37].

6- وداعه للعربي الدرقاوي (1232 هـ - 1816 م):

وذكر محمد المدني الكبير عند وداعه له، "وعند موادعتي له قال لي: سر أرسلتك نائباً عني، ومرة أخرى قال لي: أرسلتك خليفتي، فوادعته في أول ذي القعدة سنة(1232هـ- 1816 م)[38].

ومما تقدم يتضح لنا أن الشيخ العربي الدرقاوي، استخلف من بعده على الطريقة الدرقاوية الشيخ محمد المدني الكبير سنة(1232هـ- 1816م)، وهي البداية الحقيقية لظهور الطريقة المدنية، حيث كان عمر الشيخ محمد المدني الكبير ستاً وثلاثين سنة، وتزوج بالسيدة فاطمة، ويفهم من ذلك أنه قد تزوج قبل قدومه إلى ولاية طرابلس الغرب زوجته الأولى. وخلال أدائه لمناسك فريضة الحج. ذكر الشيخ المدني الكبير قائلاً: "جاءني إنسان وطلب مني الورد فامتنعت عنه، وبقيت متردداً بين الإعطاء والمنع، وأنا جالس في المواجهة الشريفة أمام [قبر] رسول الله (ﷺ) وأنا في سكر عظيم، وفي صحو عظيم، فإذا خطاب سري يقول: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[39] ويتضح من هذا الخطاب أو الرؤيا- سابقة الذكر- أن محمد المدني الكبير بدأ في إعطاء أو إجازة ورد الطريقة المدنية، حيث استطرد قائلاً: وما بقيت أرد من جاءني، وبقيت مقيماً في المدينة أحج كل سنة، وأرجع إليها، ثم جاءني إذن في زيارة العربي الدرقاوي[40].

7- زيارته الثانية للعربي الدرقاوي ورجوعه للمغرب: بعد الرؤية التي رآها، والحالة التي وصل إليها الشيخ محمد المدني الكبير، جاءه الإذن برؤيا زيارة شيخه العربي الدرقاوي ببلاد المغرب، حيث قال: "فخرجت من المدينة المنورة قاصداً بلاد المغرب

لزيارته، فوصلت إليه، وقال: ما أنا طامع بقدومك من مدينة الرسول(ﷺ)، فالله ساقك إلينا، فبقيت معه خمسة أشهر ثم توفاه الله" [41].

8- وفاة العربي الدرقاوي:

وذكر محمد المدني الكبير أن وفاة الشيخ العربي الدرقاوي كانت بعد وصوله إليه بخمسة أشهر وحضر وفاته بزاويته في منطقة بوبريح بالمغرب الأقصى، حيث توفى ليلة الثلاثاء في نصف الليل يوم 22 شهر صفر سنة (1239هـ- 1823م)، ودفن بزاويته، ببوبريح[42]. وتتفق المصادر التاريخية في مكان وفاته ودفنه وتاريخها.

ثالثاً: بدايات ظهور الطريقة المدنية:

1- خلافته للطريقة الشاذلية الدرقاوية (1239 هـ - 1823 م):

بعد وفاة كل من أقطاب الطريقة الدرقاوية، وهم ابن عجيبة، ومحمد البوزيدي، لم يجد الشيخ الدرقاوي أحداً يقوم بقيادة الطريقة و مشيختها إلا محمد المدني الكبير، لقدرته على تحمل أعباء هذه الطريقة، وحاز على رضى شيخه وثقته قبل وفاته. وقال الشيخ محمد المدني الكبير: "وبعد وفاته بثلاثة أيام أتاني رجل من إخواننا أهل الطريقة، وقال لي: رأيت في المنام شيخنا صلى بجمع كبير من التلامذة، ولما فرغ من الصلاة أقبل إلينا بوجهه، فإذا أنت هو الشيخ، وتقول: من أراد الشراب فليأت إلينا، وفي بعض الأيام صليت العصر مع جماعة، وبعد الفراغ من الصلاة استولى على ذاتي ثقل حتى خفت منه، وإذا بخطاب في سري يقول: أنت خليفة شيخك، فدام علي ذلك الثقل يومين وأنا أنهج كأني حامل شيئاً على جسدي، وبعد ذلك زال الثقل عني"[43]. ويؤكد محمد المدني الكبير أنه أخذ الإذن في قيادة الطريقة الدرقاوية من مؤسسها قبل وفاته. ولكن بسبب عدم الترحيب به في فاس بالمغرب الأقصى كانت وجهته إلى الجزائر، فأُجبر على الرحيل منها فاتجّه إلى تونس، لكنه لم يلق القبول هناك، فاتجه إلى ولاية طرابلس الغرب [44].

2- دخوله ولاية طرابلس الغرب (1239هـ- 1823 م):

وفي السنة نفسها التي توفى فيها الشيخ العربي الدرقاوي نجد أن الشيخ محمد المدني الكبير رحل إلى فاس، وتوجه شرقاً نحو المدينة المنورة، ولا نعلم السبب الرئيس، ولكن يبدو أنه بعد وفاة شيخه لم يطب له المقام فيها، وأجبر على الخروج منها باتجاه الغرب، فقرر الرحيل. وقد دخل طرابلس الغرب سنة (1239 هـ - 1823 م)[45]، وكان عمره ثلاث وأربعون سنة [46]، فوجد رسالة من شيخه الدرقاوي في انتظاره، قد بعث بها إلى حاكم ولاية طرابلس الغرب، يوسف باشا القرمانلي، يوصي الشيخ فيها الوالي يوسف باشا القرمانلي قائلاً:(استوص بطريقتنا خيراً فإنها ستحل ببلادك)[47].

ومما تقدم يتضح لنا أن يوسف باشا القرمانلي كان على علم بقدوم محمد المدني الكبير لولاية طرابلس الغرب، وكانت هناك علاقات سابقة بين الشيخ العربي الدرقاوي ويوسف باشا[48]، مع أن بعض المصادر التاريخية تشير إلى أن الشيخ محمد المدني الكبير كان متجهاً إلى المدينة المنورة. ولكن بسبب الاستقبال الكبير والحفاوة من الأهالي والوالي، بولاية طرابلس الغرب آثر البقاء بها. وهذا ما يدل على أن القرمانليين في الولاية كانوا يحترمون ويقدرون الدرقاويين بالمغرب. وفي ذلك الوقت كان يوسف باشا على خلاف مع الأستانة، والدرقاويون في موقف معادٍ للدولة العثمانية، وتواجدها في المغرب العربي والعالم الإسلامي[49]. ويؤكد بعض المؤرخين أن يوسف باشا القرمانلي، عند حضور محمد المدني الكبير إليها، اجتمع به، وابتهج بقدومه ولقائه، واعتقد فيه اعتقاداً كاملاً وأجله إجلالاً شاملاً، وبالغ في تقريبه وإلطافه؛ لما رأى في حضرته من الاستقامة التي هي محط الكرامة وقال: "إن شيخك الأستاذ مولاي العربي الدرقاوي أرسل لي كتاباً وقال لي فيه: "استوص بطريقتنا خيراً، فإنها ستحل ببلادك" [50].

وقد خصص يوسف باشا مدرسة الكاتب مصطفى الخوجه[51] في طرابلس لمحمد المدني الكبير سنة(1240هـ- 1824م)، وأصبحت كأول مكان لإقامته في هذه الولاية لنشر طريقته[52]. ولكن عندما اشتهر بين الناس، وزادت مكانته، والتف الخاصة والعامة حوله لغرض التبّرك، وأخذ طريق التصوف للطريقة المدنية عنه، فسبب تكاثر الناس حوله، أينما قام وسار، وهذا سبب له كثرة الوشايات عند الوالي يوسف باشا القرمانلي، بأن هذا الشيخ قد يشكل خطراً على نفوذه السياسي، وتغير موقف الوالي من الحفاوة والمحاباة إلى المعاداة وإضمار السوء، فجعل الشيخ المدني الكبير يستعد للرحيل من مدينة طرابلس إلى مدينة مصراته [53].

3- انتقاله إلى مدينة مصراتة (1240هـ- 1824م):

وظهرت هذه الطريقة في مدينة مصراته، وأرست دعائمها فيها في سنة(1240هـ-1824م)-كما يذكر ابن مؤسس الطريقة- وكان رحيله لمصراته بدرة خير عليه، لنشر طريقته والدعوة لها في المناطق المجاورة، والابتعاد عن مشاكل الحكام القرمانليين في مدينة طرابلس الغرب[54]. وبعد وصوله إلى مدينة مصراته، استقبله أهلها له بكل حفاوة واحترام، مما ساعد محمد المدني الكبير على الاستقرار بها نهائياً وتأسيس زاويته بها[55].

4- تأسيس زاويته بمصراته (1243هـ- 1828م):

أسس محمد المدني الكبير مجموعة من الزوايا في ولاية طرابلس الغرب، لغرض الدعوة لنشر الطريقة المدنية، منها زاوية الكاتب بطرابلس، وزاويته بالأصابعة بجبل غريان، وزاوية الأبشات بالزاوية الغربية، وزاوية أخرى بترهونة وغيرها. ولكن كان الاهتمام الرئيس والكبير لزاويته بمصراته التي استقر بها بعد تأسيسها سنة(1243هـ-1827م)، حيث أسست بطرف المدينة الجنوبي الغربي، وبها رُزق بأبنه "محمد" سنة (1244هـ - 1828 م)، وبعد وفاته دفن بها[56]. ويعتقد الباحث أن اختيار محمد

المدني الكبير لمدينة مصراته يعود لغرض الزهد والابتعاد عن أمور الحكم والسياسة ونشر الطريقة المدنية وأورادها، والإرشاد، والنصح للمسلمين. كما أن أهل هذه المنطقة استقبلوه بكل حفاوة واحترام، ما جعله يستقر بها ويؤسس أول زاوية له بها، وقد تزوج من أهلها. ونجد أن أحد مستشاري يوسف باشا القرمانلي وهو الشيخ إبراهيم أحمد السعداوي، ويبدو أنه تربطه صلة ومعرفة بمحمد المدني الكبير كان قد أوحى له بالإقامة بهذه المدينة[57]. ومما يؤيد هذا الاتجاه أن انتقاله لمصراته ثم إنشاؤه لهذه الزاوية كان قريباً ومجاوراً لمنازل أسرة السعداوي هناك. وأن إبراهيم السعداوي كان في ذلك الوقت يخطط للتمّرد على يوسف باشا، والتحالف مع عبدالجليل سيف النصر، حتى إذا ما اكتشف يوسف باشا أمره قام باعتقاله ومحاولة نفيّه إلى اسطنبول[58]. وبعد منطقة مصراته عن طرابلس الغرب، مما يساعد في الابتعاد عن الفتن والوشاية للوالي الباشا.

5- استقرار الطريقة المدنية بمصراته (1241هـ- 1826م):

ظهرت هذه الطريقة في حدود(1240هـ- 1825م)- كما يذكر ابن مؤسس الطريقة- وكان استقرارها بمصراته[59]، لتبدأ من جديد في الدعوة لها؛ لانتشارها على يد مؤسسها محمد المدني الكبير، وكان ظهورها بعد وصوله مباشرة إلى ولاية طرابلس الغرب، وهذا الانتشار السريع لهذه الطريقة وكثرة المريدين، مرده للمنهج الذي اتبعه في كسب المريدين لهذه الطريقة، وعطف الناس عليهم؛ لأنها قامت على أسس في منهجها، وطريقتها، وأورادها، واعتمادها على القرآن والسنة [60].

6- رحيله إلى زاويته بغريان (1248هـ- 1832م):

وغادر محمد المدني الكبير من مصراته إلى زاويته بجبل غريان بسبب ما تعرضت له منطقة مصراته من فتنة، التي عرفت بالحرب الأهلية سنة(1248هـ- 1832م)، مبتعداً لغرض العزلة والعبادة، ولعدة سنوات حتى سنة(1253هـ- 1837م)[61].وهذا

شأن أغلب رجال ومشائخ الطرق الصوفية البعد عن مراكز السلطة وتجنب الاحتكاك بها وإيثار العزلة والزهد.

7- نزاعه مع الوالي طاهر باشا (1251هـ- 1835م):

بعد تعيين طاهر باشا[62] من دار الخلافة العثمانية، فلاحظ اختلالاً في النظام والأمن في الولاية فأمر بقدوم سائر عمال الولاية وعلمائها وفقهائها، لتقديم واجب الطاعة إليه، وعين لهم موعداً ومن لم يحضر فيه يعد عاصياً[63] ويتأهبوا للقتال[64]. ولما بلغ الأمر لمحمد المدني الكبير أجاب الأمر، وتوجه في جماعة من تلامذته من غريان قاصداً مدينة طرابلس، فلما وصلها، قام بعض حساده بالوشاية في حقه للوالي، وأوهموه بأن هذا الإقبال الحاصل له من الخلق عليه يثير الريبة، ولا خير فيه لحاكم الولاية، مما سبب العداوة من الوالي له، فاستدعاه لمقر الولاية، واستنفر الجيش لذلك[65]. وفي الفترة نفسها تم ضرب مدينة مصراته سنة (1252هـ- 1836م)، بسبب الثورة على العثمانيين[66].

وأما عن محمد المدني الكبير، فكان معه عدد كبير وجمع وغفير من أعيان أهل البلد، وعلمائها وأفاضلها، وتلامذته، "فلما شاهد الوالي هذا الموقف، أدرك صدق الوشاية، وكان موقفه عدائياً مع المدني الكبير وقابله خارج مقر مجلسه، ومعهم أتباعه وقوفاً، وسأله: من أي بلد أنت؟ قال له: من المدينة المنورة، ثم قال له ما قصدك بهذه الجمعية؟ قال: جمعتنا محبة الله وترويض أنفسنا بطاعته، وعمارة أوقاتنا بذكره، وقال له بل جمعتهم لتثير بهم فتنة تكون بها رئيساً في البلاد"، " فذكر له المدني أن من جاء معه من المدينة قليلون ولكن الأكثرية من أهل هذه البلاد، فقال أفرزهم فلم يمتثلوا، فقال: إذا تعطني كفيلاً"[67].

وبذلك تأكد هذا الوالي أن الذي قام به هذا الشيخ ليس محل ارتياب، بل هي وشاية لغرض طرده من البلاد، وبعد ختم الدعاء، قال الشيخ: أما أنت يا طاهر باشا

فقد وكلنا أمرك إلى الله تعالى، فتقدم إليه الوالي طاهر باشا بكل خضوع، وطلب منه السماح، فتوجه الشيخ ومن معه بذكر لفظ الجلالة إلى محل إقامته السابق بمدرسة الكاتب مصطفى الخوجه وأرسل له الوالي ضيافة، ثم قدم بنفسه زائراً ومعتذراً، بعد معرفة منزلته ومكانته، وسمحوا له بالإقامة حيث شاء[68].

8- رجوعه لزاويته بمصراته (1253هـ- 1837م):

وبعدما حصل له من وشاية مع الوالي طاهر باشا، واتضاح سلامة نيته معهم، سمح له العثمانيون بالإقامة حيث شاء، ولهذا فضل العودة إلى زاويته بمصراته، التي استقبله أهلها من جديد بكل تقدير وحفاوة[69].

وبدأ محمد المدني الكبير بنشاطه من زاويته بالدعوة إلى طريقته، ولتأخذ هذه الزاوية مكانتها ودورها العلمي والديني، ولتصبح مركزاً علمياً يقصده طلاب العلم من بقاع إسلامية مختلفة. ومن بين هؤلاء الطلبة الذين درسوا بها، الشيخ عبدالقادر بن عبدالوهاب الزليطني، والأديب التونسي محمود قابادو وعلي اليشرطي البنزرتي[70].

ومن خلال استقراء المصادر تبين أن محمد المدني الكبير فضّل البقاء في مدينة مصراته؛ لكونه على دراية ومعرفة بالأوضاع، ومنها عدم استقرار الأحوال السياسية في بلاد الحجاز سنة(1254هـ- 1838م)، وكثرة الفتن والثورات، وظهور قطاع الطرق[71]. ومما يدل على هذا الاحتمال ويدعمه، أنه عندما حصلت الفتنة أو الحرب الأهلية في منطقة مصراته، آثر هذا الشيخ الهجرة إلى زاويته بجبل غريان، وعند قضاء العثمانيين عليها سنة(1252هـ-1836م)، عاد محمد المدني الكبير إلى زاويته بمصراته سنة (1253هـ- 1837م).

وكان محمد المدني الكبير على اتصال بالأحداث وما يجري في المدينة المنورة من خلال الرسائل التي ترده من عمر بالي، وإرسال محمد العطوشي للمدينة المنورة للتعرف على الأحداث بها، حتى يستطيع محمد المدني الكبير أن يقدم له النصح

والإرشاد، وهذا دليل على أن محمد المدني الكبير كان مشغولاً بأحوال مريديه في الحجاز. وهذا يؤكد استقرار الطريقة المدنية، وانتشارها، وقوتها، وكثرة مريديها هناك. ومما يوضح ذلك الرسالة التي بعث بها محمد المدني الكبير إلى عمر بالي التي ذكر فيها "أنه تعرض – يقصد عمر بالي– للضرب والإهانة التي لحقته من الوهابيين، بسبب حالة الذكر، وما يحصل عنها من صحو وسكر، وفي رسالته أنكر محمد المدني الكبير تصرفات بعض المريدين كالسؤال في الدكاكين، وبين الديار، والمشي بالحفا والأكل في الطريق[72].. الخ".

وقال في آخر الرسالة التي بعث بها لعمر بالي: "وقد بعثت لسيدي عمر بالي المذكور أن يباشر المحراب النبوي، ويطلع المنبر، وأن يخلعوا السبحات من أعناقهم لأني ما أمرتهم بذلك، والقادم إليكم محمد العطوشي، وهو من خاصة أصحابي ما بقي عندك من الإشكال يزيله عنك، وأنا إن شاء الله في هذا العام منتقل إلى طرابلس الغرب، ومتوجّه إليكم إن أراد الله تعالى والسلام"[73].

ويتضح من هذه الرسالة التي بعث بها محمد المدني الكبير إلى عمر بالي، أن هناك مشاكل كبيرة للإخوان الطريقة المدنية بالمدينة المنورة، تستدعي حضور محمد المدني الكبير بنفسه، ولكنه لم يستطع الحضور في ذلك الوقت، مما أجبره على بعث من ينوب عنه بالمدينة، ويزيل المشاكل حتى رجوعه إليها، وإلزام تلاميذه ومريديه من أهل الطريقة المدنية المهادنة، وخلع السبح، لتفادي السوء، وذكر أنه سوف يعود إلى المدينة المنورة، ولكنه لم يتمكن من العودة لها بسبب– ما ذكرنا في السابق– من الحوادث التي وقعت بالمدينة بفعل ما قام به الوهابيون ضد الصوفية والتصوف والعلماء والفقهاء.

رابعاً: ظهور الطريقة المدنية بولاية طرابلس الغرب:

سميت بالطريقة المدنية نسبة إلى مؤسسها محمد المدني الكبير، وجاء لقب (المدني) نسبة إلى المدينة المنورة، ولقب عند الصوفية بالشيخ الأستاذ محمد المدني الكبير تمييزاً له عن ابنه "محمد"، ولذلك عُرفت هذه الطريقة المتفرعة من الدرقاوية الشاذلية بالمدنية [74].

1- بداية مرحلة الدعوة للطريقة المدنية (1253هـ- 1836م):

بدأت مرحلة الدعوة الفعلية للطريقة المدنية نشاطها، على يد مؤسس الطريقة الشيخ محمد المدني الكبير بعد رجوعه لمدينة مصراته، وبعد استقرار الأوضاع بها سنة (1253هـ- 1836م)، حيث بعث تلاميذه ومريديه ومن أخذ عنه الطريقة سائحين دعاة للطريقة، ونشر الإسلام في البلدان، ومنها المغرب العربي، وأواسط أفريقيا ببرنو، ومصر، وكذلك بلاد الحجاز والشام، والأستانة ومن هنا بدأت مرحلة الدعوة.

وكان من هؤلاء الدعاة عبدالقادر القرقوري من برنو، داعيا إلى الطريقة المدنية بجامع برنو، وكذلك محمد بن عبدالله الشنقيطي، ومحمد العطوشي الطرابلسي، الذي أوفده إلى المدينة، كما جاء في الرسالة التي بعث بها إلى عمر بالي، شيخ المدينة المنورة، حيث استقر بالمدينة المنورة، لإزالة المشاكل، ولتوضيح منهج الطريقة المدنية. ومن الدعاة الآخرين، أحمد الرفاعي نزيل المدينة المنورة (ت1293هـ-1876م)، وكذلك محمد الفاسي نزيل مكة، ومحمد الفقيه الشاطئ الفزاني، الذي مدحه بقصيدة، وصلت أبياتها إلى ثمان وعشرين بيتاً[75]، وهذا مطلعها:

محب الله في الدنيا عليل تطـاول سقمه فدواه داه [76]

ومن الدعاة الآخرين الشيخ عمر بالي، الذي تولى من بعده المشيخة بالمدينة المنورة، بعد خروج محمد المدني الكبير سائحاً للمغرب العربي حتى وصل فاس. فبسبب دعوته، وحالة الذكر الذي كان عليها أتباع الطريقة ومريدوها بالمدينة المنورة،

نتج عنه تعرض عمر بالي وأتباعه إلى الضرب والإهانة من قبل الوهابيين، الذين يرفضون هذه الأمور من قبل شيوخ ومريدي واتباع الطرق الصوفية، ومنها الطريقة المدنية. مما سببت في بقاء، محمد المدني الكبير بولاية طرابلس الغرب، واكتفى ببعث رسالة وموفد عنه، وهو محمد العطوشي الطرابلسي[77]. وكذلك من تلاميذ محمد المدني الكبير الذين نشروا الطريقة المدنية عبدالقادر عبدالسلام عبدالوهاب الزليطني، نزيل الإسكندرية[78]، وكان ابنه محمد المدني الابن داعية وناشراً لهذه الطريقة، ويعتبر المؤسس الثاني لهذه الطريقة، فعلى يديه وصلت الطريقة إلى الاستانة واتخذها السلطان عبدالحميد الثاني طريقة له، وخصص لها تكية هناك، وأصبح لها شأن عظيم [79].

ومن تم فإن الدلالة الحقيقية في هذا المقام الصوفي الثقافي، لا تنفصل عن حقيقة أخرى، ألا وهي: دور التصوف في مجال التواصل[الفكري الثقافي الصوفي]، بين أقطار العالم الإسلامي، وأن للتصوف رجالاً وأولياء، وصلحاء أنيطت بهم رسالة الاتصال والتواصل مما لم يستطع تحقيقه رجال آخرون في حقول أخرى، وخاصة أن الأصداء والفتوحات لأولئك، في أفريقيا ظلت منقوشة في التاريخ... فالقادرية والشاذلية [المدنية]... قامت بالدعوة للإسلام عن طريق الدعاة في مناطق مختلفة، ونشرت أورادها، وأحزابها المدنية، كما أنها استطاعت أن تنشر اللغة العربية في منطقة غير عربية [80].

2- وصيته:

بعد أن أرسى دعائم طريقته، وأصبحت ذات شهرة كبيرة وزاد انتشارها بولاية طرابلس الغرب، وخارجها، وانتشرت الطريقة في بعض مناطق المغرب العربي والمشرق الإسلامي، حتى وصلت أواسط أفريقيا ببرنو عن طريق الرسل الدعاة الذين أرسلهم محمد المدني الكبير، مما زاد في نشاطها." فقد حانت ساعة الرحيل وبدأ المرض يظهر عليه، فأدرك ذلك، فقدم إليه تلامذته وأتباعه، الذين حضروا إليه بعدد كبير،

وكان مما أوصاهم به: عليكم بتقوى الله، وتمسكوا بسنته، وكونوا على المعاملة الحسنة مع عباده، واتباع سنة نبيه (ﷺ)[81]، ثم تلى قوله تعالى: ﴿ مِن المؤمنين رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْه فَمِنْهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَن يَنْتَظِر وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ الله الصَادِقِينَ بِصِدْقِهِم ﴾ الآية [82].

ثم عيّن من يغسله ويكّفنه، وأوصى لابنه محمد بالصلاة عليه، وأوصى أن يتصدق عليه عند رأس كل سنة، وأنجز عتق ثمانية من الرقيق بين إناث وذكور، ورتّب أوقافاً من أملاكه يصرف ريعها على زاويته، وجعل نظارته لابنه محمد، وللرشيد من أولاد ابنه، وأولادهم، ودل بعض التلامذة على ملازمة ابنه محمد من بعده. وأمر ابنه الأكبر بأخذ الطريقة من شقيقه محمد وسئل أين يكون ضريحك؟ فقال: " أين ما يريده الله تعالى "ولما كان آخر ليلة دعاني لحضرته، وكان آخر ما أوصاني به: "عليك بتقوى الله، واستوص بإخوتك، ومن تعلق بك خيراً، واقتصد في أمورك لا تفريط، ولا إفراط، والله تعالى يأخذ بيدك ويتولى أمرك" [83].

3- سيرته:

وكانت سيرته"...المواظبة على قراءة كتب الفقه، والحديث، والتصوف، وكان آخر عهده من قراءة كتب التصوف رسائل العربي الدرقاوي، ومن الحديث كتاب موطأ الإمام مالك، فلما وصل إلى باب الجنائز منه كرره، ثم قال: افعلوا بي عند موتي ما قرره الإمام مالك في هذا الباب"[84].

خامساً: شيوخه:

أخذ محمد المدني الكبير على مجموعة من العلماء الأفاضل الذين تتلمذ على أيديهم خلال سياحته ورحلاته التي استمرت خمساً وعشرين سنة، فمنهم من أخذ عنه الطريق مثل العربي الدرقاوي؛ حيث لازمه تسع سنين بالمغرب، ومنهم من أخذ عنه بقصد التبرك بهم مثل أحمد بن إدريس بالمدينة المنورة، بعد رجوعه من العربي الدرقاوي

بالمغرب، وهؤلاء العلماء والفقهاء الذين تتلمذ على أيديهم هم الشيخ المختار الكنتي والشيخ العربي الدرقاوي، والشيخ أحمد التيجاني والشيخ أحمد بن ادريس.

سادساً: تلاميذه:

قام بتأسيس زاويته المدنية بمصراته، ولتصبح مكاناً للدراسة، وتعليم القرآن وأصول الدين على يديه وإجازة الطريقة المدنية لهؤلاء الطلاب، والتلاميذ، وأهل المنطقة، والمناطق المجاورة لها. وتتلمذ على يديه عدد كبير من الطلاب والمريدين الذين قصدوه، وجاؤا من مناطق بعيدة سائحين لغرض الاستفادة من علمه، وأخذ الطريق عنه، بعد الشهرة التي وصل إليها هذا العالم الفقيه الصوفي؛ حيث ربط بين علمي الفقه والتصوف وخاصة في الطريقة الشاذلية وفروعها، الدرقاوية، والناصرية والتيجانية، إلى أن أصبحت له طريقة، أسسها في ولاية طرابلس الغرب سنة(1240هـ-1824م). ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه الطريقة المدنية والعلوم الفقهية الشرعية، وتأثروا به وكان لهم دور كبير في نشر الطريقة محمد الفاسي، وعلي اليشرطي، ومحمود قابادو من تونس، محمد المدني الأبن...الخ.

سابعا: وفاة محمد المدني الكبير:

بعد أن لازمه المرض لفترة قصيرة من الزمن فكان سبباً في وفاته، عند الساعة الرابعة ليلة الثلاثاء الموافق لست وعشرين من جمادي الأولى سنة(1263هـ- 1847م) رحمه الله، واجتمع جمع غفير للصلاة عليه، ودفن في صحن مسجد الزاوية من جهة القبلة للمصلي بزاويته بمصراتة[85]. عن عمر ناهز ثمان وستين سنة ميلادية تقريباً. وبعد أن أدى رسالته في الإقراء، والوعظ، والنصح للمسلمين[86].

المراجع والمصادر:

(1) عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، أضواء عليى الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، مكتبة مدبولي، (القاهرة– 1990م) ص 10/9– 16.

(2) المرجع نفسه ص10.

(3) عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، ج1، (الفصل السابع عشر في علم التصوف)، تحقيق: أبي عبدالرحمن عادل بن سعد، الدار الذهبية، (القاهرة، 2006م)، ص 863 – 882.

(4) أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد، ج2، (القاهرة، 1958 م)، ص 315.

(5) المصدر نفسه، ص 11، 14.

(6) أحمد زروق، عدة المريد الصادق، تحقيق: الصادق عبدالرحمن الغرياني، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، (طرابلس، 1996)، ص 14.

(7) محمد ظافر المدني، الأنوار القدسية في تنزيه طرق القوم العلية، دار الإنسان، (القاهرة، 1995م)، ص10، 11، 13.

(8) هو تقي الدين علي بن عبدالله بن تميم، ولد أبو الحسن بقرية من قرى غمارة 1258م القريبة من سبة بالمغرب الأقصى سنة (593هـ_1196م) وتوفى بصعيد مصر (656هـ–1258 م).محمد بن إبراهيم بن عياد، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، تحقيق: أحمد المزيدي الحسيني، دار القلم العربي، (حلب، 2004م)، ص 29، 60.

(9) المصدر نفسه، ص 20

(10) عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 137، 140.

(11) محمد بن إبراهيم بن عياد، المصدر السابق، ص 158.

(12) سورة النحل، الآية (99).

(13) محمد بن إبراهيم بن عياد، المصدر السابق، ص 74.

(14) محمد محمد المدني، أقرب الوسائل لإدراك منتخبات الرسائل (انتهى من كتابتها سنة1313هـ، بالأستانة)، ص 1، 2.

(15) السائح علي حسين، لمحات من التصوف الإسلامي وتاريخه، ط2، كلية الدعوة الاسلامية، (طرابلس، 1997)، ص 326.

(16) عبدالمجيد الصغير، إشكالية إصلاح الفكرالصوفي، ط2، دار الأفاق الجديدة، (الدارالبيضاء، 1994م)، ص 42، 43.

(17) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ج1، مكتبة الفرجاني، (طرابلس، د ت)، ص 370.

(18) محمد محمد المدني، المصدر السابق، ص 2.

(19) المصدر نفسه، ص 1.

(20) محمد ظافر المدني، المصدرالسابق، 32-33.

(21) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي، ج2، تحقيق:إبراهيم شمس الدين، منشورات دار الكتب العلمية، (بيروت، 1997 م)، ص 382، 408.

(22) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج7، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1988م)، ص 127 – 134.

(23) NAYED AREF ALI "The Madaniyya: A Reconstruction. (Sheikh Mohammed Centrer for Cultural Understanding, Dubai) . Paper presented to The "World Congress For Middle Eastern Studies". University of Mainz , GERMANY, SEP. 8 to 13 , 2002. P5.S

(24) محمد محمد المدني، المصدر السابق، ص 2.

(25) المصدر نفسه، ص2، 3 .

(26) المصدر نفسه، ص 3.وأيضا: محمد ظافر المدني، المصدر السابق، ص 32، 34.

(27) عبدالمجيد الصغير، المرجع السابق، ص 76.

(28) وفاة أحمد بن عجيبه سنة(1224هـ – 1809م).محمد البشير ظافر الأزهري، اليواقيت الثمنية في أعيان مذهب عالم المدينة، ج1، مطبعة الملاجئ التابعة لجمعية العروة الوثقى، (القاهرة، 1325 هـ)، ص 70.وكذلك:محمد بن حمد عمر قاسم بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، تخريج وتعليق: عبدالمجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون للنشر، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2003م)، ص 571.وكذلك:الزركلي ، الأعلام، ج1، ص245.

(29) عبدالمجيد الصغير، المرجع السابق، ص 45، 46.

(30) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب، ج1، ص369، 377.

(31) محمد مسعود جبران، من مظاهر الحركة الفكرية والأدبية في ليبيا: الرحلات العلمية وتوثيق السند العلمي في العصر الحديث، ص277، 227.

(32) محمد محمد المدني، المصدر السابق، ص4، 5.

(33) المصدر نفسه، ص 4، 5، 6.

(34) المصدر نفسه، 4، 5.

(35) المصدر نفسه، 4، 5، 6.

(36) نفس المكان، ص4، 5.

(37) المصدر نفسه، ص6.

(38) المصدر نفسه، ص4، 5.

(39) سورة الذاريات، الآية (55).

(40) محمد محمد المدني، المصدر السابق، ص 4، 5.

(41) المصدر نفسه، ونفس الصفحات.

(42) المصدر نفسه، ص 5. وكذلك: محمد البشير ظافر الأزهري، المصدر السابق، ص 256. وكذلك: أبي الحسن علي محمد بن قاسم الكوهن، المصدر السابق، ص 186، 191.

(43) محمد محمد المدني، المصدر السابق، ص 5.

(44) غيرهارد رولفس، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة وتقديم: عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سلسلة نصوص ووثائق (34)، (طرابلس، 2002م)، س 73.

(45) محمد محمد المدني، ، المصدر السابق، ص 3، 4.

(46) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 370.

(47) المصدر نفسه، ص، 369، 377.

(48) محمد محمد المدني، المصدر السابق، ص 6، 7.وأحمدالنائب الأنصاري، مصدر سابق، ص369، 37

(49) عبدالمجيد الصغير، المرجع السابق، ص 41، 42، 43.

(50) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 370.

(51) أسسها مصطفى الكاتب بن قاسم المصري سنة(1183هـ) وهي على نظام المدارس القديمة في طرابلس، تحتوي على حجر كثيرة لسكن الطلبة، وتقع في طرف المدينة الشرقي بقرب السو، وقد أزيل السور زمن الاحتلال الإيطالي ولم يبق له أثر، وبينها وبين البحر الطريق الذاهب إلى الميناء، وبني بجنبها مسجدان وكتّابا لتحفيظ القرآن ومكتبة حافلة بالكتب، وأما عن مصطفى الكاتب، فهو من مواليد طرابلس ونشأ بها وتفقه فيها على يد الشيخ محمد بن عبدالرحمن الكانوي، ومحمد بن سالم الفطيسي، وكان أديباً بارعاً وعالماً. وعينه علي باشا القرمانلي كبير الكتاب، وكانت له مكانة عنده، وله تأليف منها (المسائل المهمة، والفوائد الجمة، فيها يطلبه المرء لما أهمه)، توفي سنة(1213هـ). الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، دار مكتبة النور، (طرابلس، 1968م)، ص 303، 304. وكذلك:أمانة الإعلام، دليل المؤلفين العرب الليبيين، أمانة الإعلام، (طرابلس، 1977م)، ص 468.

(52) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 370.

(53) المصدر نفسه، ص 370 .372.

(54) محمد ظافر المدني، المصدر السابق، ص 32.

(55) محمد محمد المدني، المصدر السابق، ص 17 – 18.

(56) المصدر نفسه، ص 18.وأيضاً: NAYED AREF ALI , OP. Cit , P 6.

(57) علي محمد إسماعيل جهان" الحياة الثقافية بمنطقة مصراته أثناء الحكم العثماني الثاني(1835م– 1911م)، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية (طرابلس، 2009)، ص 186 – 187.

(58) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مطبعة الاعتماد، (القاهرة، 1957م)، ص 393.

(59) محمد ظافر المدني، المصدر السابق، ص 32.

(60) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 369، 377

(61) المصدر نفسه، ص 372، 373.

(62) تم تعيين طاهر باشا لإخضاع منطقة مصراته التي كان يحكمها عثمان الأدغم، وقد تم إخضاع منطقة مصراته في(1836/8/9م) وأرسل عثمان آغا الأدغم سجيناً إلى استانبول ورجع طاهر باشا إلى طرابلس الغرب وعمل هناك كقائد أعلى حتى نهاية عام (1836م)، عندما استدعى

محمد رائف باشا وعين مكانه رسمياً حاكماً عاماً، لولاية طرابلس الغرب خلال سنة (1837 – 1838م). (63) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 372، 373.

(64) عزيز سامح، المرجع السابق , ص 193.

(65) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص372، 373.

(66) انتوني جوزيف كاكيا، ليبيا في العهد العثماني الثاني 1835 – 1911 م، تعريب:يوسف حسن العسلي، دار إحياء الكتب العربية، (د، ت، ط)، ص 39.

(67) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 372، 373.

(68) المصدر نفسه، ونفس الصفحات.

(69) علي محمد جهان، المرجع السابق، ص 128.

(70) المرجع نفسه، والصفحة.

(71) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص127– 134.

(72) محمد محمد المدني، المصدر السابق، ص 11، 12، 13.

(73) المصدر نفسه، 11– 13.

(74) محمد ظافر المدني، المصدر السابق، ص 33.

(75) محمد محمد المدني، المصدر السابق، 17–23.

(76) المصدر نفسه، ص13–14–15.

(77) محمد بشير ظافر المدني، المصدر السابق، ص 214، 215.

(78) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 369، 377.

(79) أحمد الطريبق أحمد، " نشرة التصوف الصوفي للآداب، قراءة أدبية في قواعد التصوف لأحمد الزروق "أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب، أيام 23/20 الكانون 1424 – 1995م، مراجعة وتقديم: عبدالحميد عبدالله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، (طرابلس، 1998م)، ص 477، 493.

(80) محمد محمد المدني، المصدر السابق، ص 34.

(81)المصدر نفسه، والصفحة.

(82) سورة الأحزاب، الآيتان 23 ، 24.

(83) محمد محمد المدني، المصدر السابق، ص 34، 35.

(84) المصدر نفسه، والصفحة. وكذلك: أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص375.

(85) محمد محمد المدني، المصدر السابق ص 34، 35.

(86) الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ط2، دار الفرجاني، (طربلس، 1971م)، ص 270. وكذلك: محمد مسعود جبران" من مظاهر الحركة الفكرية والأدبية في ليبيا "، أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعا وأفاق العمل حولها، (زليطن، 1988م)، ص 259.